المولد والنشأة:

وُلد عبد الرحمن بن خلدون يوم 27 ماي1332م، الموافق للأول من رمضان سنة 732هـ، في مدينة تونس زمن الدوّلة الحفصية،كُنِّيَ "أبا زيد" حين صار أبا، ولُقّب وَلِيَّ الدِّين حين أصبح قاضيا في مصر، وطغى اسمه "ابن خلدون" على سائر العائلة التي تنسب إلى خالد بن عثمان، وقد عُرف جدهم هذا بـ"خلدون" بإضافة واو ونون إلى اسمه، إذ كان ذلك من علامات التعظيم عند أهل الأندلس والمغرب.

ينتمي عبد الرحمن إلى أسرة عريقة من عرب اليمن في حَضْرمَوت، يمتد نسبها إلى الصحابي وائل بن حجر، وقيل إن عائلته دخلت الأندلس بعد الفتح الإسلامي، واستقرت في إشبيلية وصارت من ذوي الجاه والسلطة.

كان له أربعة إخوة، وكان والده عالما وفقيها، زهد في الحياة السياسية وآثر العلم والدرس ، توفي والداه بالطاعون عام 1349م وعمره آنذاك 18عاما، ولم يبقَ حوله إلا شقيقاه الأكبر والأصغر، كما نُكب بفَقد زوجته وأبنائه غرقًا في البحر، وهم في طريقهم إليه من تونس إلى مصر عام 1394م.

تقسيم مراحل حياته وفقاً للعلماء

قسّم علماء التاريخ المراحل التي عاشها العالم ابن خلدون إلى أربع مراحل، وهي:[٣]

المرحلة الأولى: قضاها في مدينة تونس، وهي المرحلة التي جمع فيها العلم، وحفظ فيها القرآن حيث استغرق منه حفظهُ خمسة عشر عاماً، وتعلّم خلالها القراءات وأحكام التجويد، وامتدت هذه المرحلة منذ ولادته عام 732هـ إلى عام 751هـ.

المرحلة الثانية: امتدت خمسة وعشرين عاماً حيث تتسم هذه المرحلة بتقلد ابن خلدون لوظائف سياسيّة وديوانية عدّة في المغرب، وتونس، والجزائر.

المرحلة الثالثة: الف ابن خلدون في هذه المرحلة كتابه المشهور"العبر في المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والأمازيغ ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، و يحتوي في قسمه الأول على المقدمة، وتُقسم هذه المرحلة إلى قسمين الأولى قضاها فى قلعة ابن سلامة، والثانية فى مدينة القاهرة.
المرحلة الرابعة: امتدت هذه المرحلة أربعة وعشرين عاماً، وهي المرحلة التي اشتغل فيها ابن خلدون فى وظائف التدريس و القضاء، حيث قضاها في مصر منذ عام 784هـ إلى عام808هـ.
المنهج العلمي والتاريخي الذي اتبعه ابن خلدون:

مؤرخ وفيلسوف اجتماعي وسياسي، وهو أحد أبرز علماء القرون الوسطى، ومن أكبر المؤرخين العرب ينسب إليه تأسيس علم الاجتماع، وهو واضع أصول فسلفة التاريخ، أنتج موسوعة تاريخية اعتُبرت من أهم مصادر الفكر العالمي، إضافة إلى كتابه "المقدمة" الذي اكتسب به شهرة عبر العصور.

ركز في منهجه العلمي والتاريخي على الظواهر الاجتماعية المترابطة، فلكلّ ظاهرةٍ سببٌ وبنفس الوقت تكون سبباً للظاهرةِ التي تليها، لذلك جاء مفهوم العمران البشري على أنّه يشمل جميع الظواهر العمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

ذكر في كتبه الخلافة ومراتبها، وأكد على أنّ الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية، فكتب بها العديد من المقولات الاجتماعية والتي أصبحت فيما بعد لها مكانةً بارزةً، فاعتبرت من المقولات

الخلدونية البحتة لربط ابن خلدون لجميع الأحداث الهامة بالتغيرات الجذرية التي حصلت في العمران الحضري والعمران البدوي أو فقدان العصبية، فكانت المحور الأساسي في حياة المماليك والدول، فقام بشرحها وعرضها.

كانت "مقدمة ابن خلدون"، أكثر تراثه الفكري شهرة وأهمية فصُنِّفت نوعا من الموسوعات، ودراسة في النقد التاريخي، وفلسفة للتاريخ أو تاريخا للحضارة، ورأى فيها آخرون فلسفة اجتماعية.

اعتبر الدارسون المقدمة كتابا منفصلا، وبسببها عدّ العلماء مُؤلفها واضع علم التاريخ وفلسفته، ومُؤسسا لعلم العمران أو كما يعرف بعلم الاجتماع الإنساني ، وهكذا يكون العلم الذي قدمه ابن خلدون هو علم الاجتماع أو السوسيولوجيا كما أطلق عليه المعاصرون، خلال القرن الـ19م.

قسم ابن خلدون مقدمته إلى ستة أبواب رئيسية، احتوت نظرة في الاجتماع البشري العام، واجتماعات البدو، وعلم الاجتماع السياسي، والمدن والأمصار واجتماعات حياة الحضر، وعلم الاجتماع الاقتصادي، ثم بحثًا في العلوم والتعليم يشمل نظريات تدخل في علم الاجتماع الأدبي.

ثبت فكر ابن خلدون في بحوثه ، ما أتى به علماء أوروبا في نظرية النشوء والارتقاء بعده بخمسة قرون، أوما يسمى بالاقتصاد السياسي، الذي صارت بعض مبادئه نواة لما دونه المفكر كارل ماركس في كتابه " رأس المال".

اعتبر ابن خلدون أول من وضع علم الاجتماع على أسسه الحديثة، حيث أوجد نظريات عن قوانين العمران والعصبية، وقدم ملاحظات دقيقة عن قيام الدول وعوامل استمرارها وسقوطها، وقد سبقت آراؤه وأفكاره ما توصل إليه الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت (1798-1857)، وفق ما يراه بعض الدارسين كما بنى فلسفة خاصة في علم الاجتماع والتاريخ، وعمل على تجديد طريقة عرض أحداث التاريخ بتخليصها من الخرافات، حيث يرى أن التاريخ "في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها ، فيعتبر بذلك أول من أخضع الظواهر الاجتماعية لمنهج علمي، توصل من خلاله إلى الكثير من الحقائق الثابتة أو النظريات، وهو ما اعتبر ريادة في مجال الدراسات الاجتماعية والتاريخية.

النظريّة العصبيّة

قدّم ابن خلدون نظرية "العصبية"، وقد اعتبرها أحد العناصر الحاسمة التي تؤثر على التقدّم، أو التخلف وتُبنى "العصبية" على رابطة الدم، أو على وجود أو تقاسم الأفراد لمجموعة من المصالح المشتركة والتي تزّودهم بالقوة للبقاء معاً، والوقوف ضد مجموعات أخرى تُهدد بإضعاف هذه الرابطة، كما أبدى ابن خلدون رأيه في كيفية تخليص بعض العناصر الإضافية، مثل الروح الدينية، أعضاء المجموعة من الغيرة، وجعلها أقوى، وبمجرد وصول المجموعة لأفضل حالاتها، وتمكّن أفرادها من العيش براحة ورفاهية، فإنّ شعور "العصبية" يبدأ بالضعف والتراجع لديهم، ممّا يسبّب تخلّف المجموعة، وعلى الرغم من عدم مرور جميع المجتمعات بنفس هذا التسلسل، إلّا أنّ الرفاهية الزائدة تجلب التخلف للمجموعة، لتُستبدل بمجموعة أخرى تمتلك عصبيّة أكبر.

علم الاجتماع البشري في تحليل ابن خلدون:

في كتابه المعروف (كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والبربر)، وضع ابن خلدون نظرياته في مسائل عديدة في العمران وفلسفة حركة قيام الدول وأفولها، وما يتبعها من مقومات عند قيامها في الاقتصاد والمال وأحوال الشعوب وغيرها من القضايا التي كتبها، ركز الباحثون والمهتمون بفكر ابن خلدون وفلسفته الذي اطلعوا على كتاباته، أنها طرحت قضايا فلسفة التاريخ، وعلم العمران وقيام الدولة وتأثير العصبية عليها، وهذه هي التي لاقت الرواج الأكبر من المؤرخين والباحثين في علم الاجتماع، وفي فلسفة التاريخ، سواء الذين تعرفوا على ابن خلدون من الغربيين، وهم الأسبق في ذلك، أو من الباحثين العرب، الذين تعرفوا عليه من خلال الكتابات الغربية وأبرزهم المؤرخ البريطاني «توينبي» الذي تحدث بإكبار عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وفلسفة التاريخ.

صاغ ابن خلدون نظرياته في فلسفته للتاريخ، وعلم الاجتماع البشري (علم العمران)، على منهج علمي متقن، لم يكن هذا العلم معروفًا فيما سبق في مجال كتابة التاريخ من حيث التحليل والتعليل والاستنتاج،

كما انتقد ابن خلدون بعض الكتابات التاريخية التي سبقته، واعتبر أن بعضها اعتمدت على الوهم والخيال، وبعضها الآخر انحاز في كتابة التاريخ دون اعتماد الصدق والموضوعية، وبعضها تقرب لذوي النفوذ والتأثير لصياغة وقائع مغلوطة وغير صحيحة.

وعليه فإن ابن خلدون كتب في علم العمران البشري، من خلال استقراء الوقائع بنفسه وتسجليها، وأثبت بهذا التسجيل أن الظواهر التي تحصل في الاجتماع البشري، ووقائع التاريخ وملابساته، هي بدورها لا تأتي بصورة عشوائية أو مصادفة، بل أنها تخضع للقوانين والسنن التي وضعها الخالق عز وجل، ولذلك فإن ابن خلدون قال في المقدمة عن علم العمران البشري: «وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا، وهو علم مستقل بنفسه، موضوعه العمران البشري والاجتماع، ويهدف إلى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيًا كان أم عقليًا وأعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة، عثر عليه البحث وأدى إليه الغوص وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة.

كل من تعرف على نظرية ابن خلدون في علم العمران، اعتبرها من السوابق في العلوم الإنسانية، التي تتحدث بطريقة مختلفة، عما كتبه الأوائل، في هذا المجال، والأهم أنه لم يلجأ لفكر الأوائل من اليونان أو الرومان، ليأخذ من الفلسفة أو الرؤية الفكرية في الحكمة ـ كما فعل بعض العرب والمسلمين، عندما تأثروا بالفلسفة اليونانية، وأصبحوا مجرد شارحين لهم دون إبداع، كما نقدهم العديد من الباحثين العرب، فقد استمد ابن خلدون رؤيته من الفكر الإسلامي، وبالأخص من القرآن الكريم، لاستنباط الكثير من السنن والسلوك الاجتماعي للنفس البشرية، وهذه أهم السمات الاستقلالية التي أخذت الاستمداد من التراث العربي الإسلامي.

إن منهجية ابن خلدون في دراسة العمران البشري، تميزت بكونها حفرت في عمق البحث التاريخي للأمة من داخلها بحثًا استقصائيًا، دون تقليد الأمم الأخرى، لكون الأمر يقوم على التحليل للطبيعة البشرية واقعياً، وهو كما قال: إن الإنسان مدني بطبعه، وهذه أن الحاجة الإنسانية تحتاج إلى التعاون، والتساند، والتعايش، فلا يمكن أن يتحقق العمران البشري، وما يتبعها من نظم وقوانين إلا بهذا الاجتماع، ثم يأتي بعدها قيام النظام السياسي، أو الملك وفق مصطلح ابن خلدون، وهو الوازع الذي تكون له الغلبة

والطاعة، فلن يتحقق هذا إلا بالالتزام بالنظام لحفظ التماسك والتعاون والتعايش، فالعمران البشري ضرورة إنسانية لا بد من قيامها؛ لتحقيق الاستقرار ويسود العدل والنظام، فإذا غابت هذه الأسس أو تلاشت «فقد أذن بخراب العمران» بحسب ابن خلدون.